

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 97]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ بَعْضَ أَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ
بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوا فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ
لِقِتَالِ الرُّومِ، جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ لِتَذَكُّرَ مَنْ كَانَ خَارِجًا مِنْهَا وَنَائِيًا
عَنْهَا، مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْبَادِيَةَ، بِقَوْلِهِ: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ
كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾.

العلاقة بين
حال منافقي
المدينة، وحال
أعراب البادية
الغلاظ الشداد

وَمِمَّا يَذْكُرُ أَيْضًا فِي الْمُنَاسَبَةِ: لَمَّا رَتَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْاسْتِئْذَانَ
فِي الْقُعُودِ، وَالرِّضَا بِمَا فِيهِ مِنَ الدَّنَاءَةِ، عَلَى عَدَمِ الْفِقْهِ تَارَةً،
وَالْعِلْمِ أُخْرَى، وَخَتَمَ بِصِنْفِ الْأَعْرَابِ؛ بَيَّنَّ أَنَّ الْأَعْرَابَ أَوْلَى بِذَلِكَ؛
لِكُونِهِمْ أَعْرَقَ فِي هَذَا الْوَصْفِ، وَأَجْرًا عَلَى الْفِسْقِ؛ لِبُعْدِهِمْ عَنِ
مَعْدِنِ الْعِلْمِ، وَصَرَفِهِمْ أَفْكَارَهُمْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَخَازِي
لِتَحْصِيلِ الْمَالِ الَّذِي كُلَّمَا دَارُوا عَلَيْهِ؛ طَارَ عَنْهُمْ، فَأَبْعَدَ، فَهُمْ لَا
يُزَالُونَ فِي هِمِّهِ، قَدْ شَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ هَمٍّ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْأَعْرَابُ﴾: سُكَّانُ الْبَادِيَةِ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ يَنْقَلُونَ فِيهَا بَحْثًا
عَنِ الْمَاءِ وَالْعُشْبِ، وَلَا يَقِيمُونَ فِي الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ، وَلَا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا
لِحَاجَةٍ، وَقِيلَ: الْأَعْرَابُ هُمُ الْبَدَوُ، وَلَوْ كَانُوا عَجَمًا، وَجَمْعُ الْأَعْرَابِ:
أَعَارِبُ، وَالتَّعَرُّبُ: الْإِقَامَةُ فِي الْبَادِيَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ، وَأَصْلُ التَّعَرُّبِ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/4.

التَّشَبُّهُ بِالْعَرَبِ، يُقَالُ: تَعَرَّبَ: إِذَا تَشَبَّهَ بِالْعَرَبِ، وَمُفْرَدُ الْأَعْرَابِ: أَعْرَابِيٌّ، وَقِيلَ: لَا مُفْرَدَ لَهَا، وَأَمَّا الْأَعْرَابِيُّ: فَهِيَ النِّسْبَةُ إِلَى الْأَعْرَابِ، كَقَوْلِكَ: فَلَانٌ أَعْرَابِيٌّ، أَي: مِنَ الْأَعْرَابِ، وَلَيْسَ الْأَعْرَابُ جَمْعًا لِعَرَبٍ⁽¹⁾.

(2) ﴿أَشَدُّ﴾: الشَّدَّةُ: الصَّلَابَةُ، وَتَأْتِي بِمَعْنَى الْإِحْكَامِ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْكَمَ: فَقَدْ شُدَّ، وَأَصْلُهَا: الْقُوَّةُ فِي الشَّيْءِ، يُقَالُ: شَدَدْتُ الْعَقْدَ شَدًّا، أَي: قَوَّيْتُهُ، وَالشَّدُّ: الرِّبْطُ وَالْعَقْدُ، وَمِنْ مَعَانِي الشَّدَّةِ: الارتفاعُ، والصُّعُوبَةُ، والعُسْرُ، والجَلَادَةُ، والثَّبَاتُ، والنَّجْدَةُ⁽²⁾.

(3) ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أَصْلُ الْجَدْرِ مِنَ الْجِدَارِ، وَهُوَ الْحَائِطُ، وَجَمْعُهُ جُدْرٌ وَجُدْرَانٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «اسْقِ - يَأْزُبِرُ - وَدَعِ الْمَاءَ يَرْجِعْ إِلَى الْجَدْرِ»⁽³⁾، وَقِيلَ: أَصْلُ (الجدْر) هُوَ أَصْلُ الشَّجَرَةِ، فَكَانَتْ ثَابِتٌ كَثَبَتِ الْجَدْرِ⁽⁴⁾، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: هُوَ جَدِيرٌ بِكَذَا، أَي: حَرِيٌّ بِهِ، وَهُوَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُثَبَّتَ أَمْرُهُ، وَيَبْنِيهِ عَلَيْهِ⁽⁵⁾، وَالْجَدِيرُ أَيْضًا: الْمُنْتَهَى، لِانْتِهَاءِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، انْتِهَاءُ الشَّيْءِ إِلَى الْجِدَارِ⁽⁶⁾، وَالْمَقْصُودُ بـ ﴿وَأَجْدَرُ﴾ فِي الْآيَةِ: أَحَقُّ وَأَخْلَقُ⁽⁷⁾.

(4) ﴿حُدُودٌ﴾: الْحُدُودُ: الْمَقَادِيرُ وَالْفَوَاصِلُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فَوَاصِلَ الْأَحْكَامِ وَضَوَائِبَ تَمَيِّيزِ مُتَشَابِهِهَا، وَحُدُّ الشَّيْءِ: مُنْتَهَاهُ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى: الْمَنْعُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْبُؤَابُ: حَدًّا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ غَيْرَهُ مِنَ الدُّخُولِ، وَسُمِّيَتْ عَقُوبَةُ الزُّنَى وَغَيْرِهِ: حَدًّا؛ لِأَنَّهُا تَمْنَعُ مِنَ مُعَاوَدَتِهِ، وَيَمْنَعُ أَيْضًا غَيْرَهُ عَنْ إِيْتَانِ الْجِنَايَاتِ⁽⁸⁾.

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الْأَعْرَابَ أَشَدُّ كُفْرًا بِاللَّهِ، وَأَشَدُّ نِفَاقًا مِنَ الْكُفَّارِ، وَمُنَافِقِي أَهْلِ الْحَضَرِ؛ لِأَنَّهُمْ أَغْلَظُ طَبْعًا وَأَقْسَى قَلْبًا، وَهَمَّ بِذَلِكَ أَجْدَرُ وَأَحَقُّ أَلَّا يَعْلَمُوا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ،

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عرب).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، وابن الأثير، النهاية، والزبيدي، تاج العروس: (شدد).

(3) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: 26/40، رقم الحديث: (16116).

(4) الكفوي، الكلمات، ص: 51.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جدر).

(6) الرغاب، المفردات: (جدر).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/12، ووطنواوي، التفسير الوسيط: 6/386.

(8) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (حدد)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/12.

والشَّرَائِعَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي
مَجَالِسِ عِلْمِ الرَّسُولِ ﷺ وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا عَلَى يَدِ صَحَابَتِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وَنِيَاتِهِمْ، حَكِيمٌ فِي حُكْمِهِ عَلَيْهِمْ.
❖ الإيضاح اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دلالة فصل الآية عن سابقتها:

فُصِّلَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ عَمَّا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا
اسْتَتَفَتْ ابْتِدَائِيًّا رَجَعَ بِهِ الْكَلَامُ إِلَى أَحْوَالِ الْمُعَذَّرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ،
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْهُمْ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ اسْتَطْرَادُّ دَعَا إِلَيْهِ
اِقْتِرَانُ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الذِّكْرِ مَعَ الْأَعْرَابِ، فَلَمَّا انْقَضَى
الْكَلَامُ عَلَى أُولَئِكَ تَخَلَّصَ إِلَى بَقِيَّةِ أَحْوَالِ الْأَعْرَابِ⁽¹⁾.

فائدة تقديم المسند إليه على المسند الشبهي بالفعلي:

قُدِّمَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ ﴿الْأَعْرَابُ﴾؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى اتِّصَالِ الْحَدِيثِ
بِالْمُنَافِقِينَ، وَذَلِكَ لِلاِهْتِمَامِ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ، وَأَيْضًا لِلتَّنْبِيهِ الْمُسْلِمِينَ
لأَحْوَالِ الْأَعْرَابِ؛ لِأَنَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْإِحْتِكَافِ بِهِمْ وَالْمُخَالَطَةِ مَعَهُمْ
قَدْ تَخَفَى عَلَيْهِمْ أَحْوَالُهُمْ، وَيَظُنُّونَ بِجَمِيعِهِمْ خَيْرًا⁽²⁾.

سرّ العدول عن (أهل البدو)، بوصف (الأعراب):

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾، وَفِيهِ عَدْلٌ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْ
أَهْلِ الْبَدْوِ إِلَى الْوَصْفِ بِالْأَعْرَابِ؛ لِأَنَّهُ يُعْطَى وَصْفًا ثَابِتًا مُتَعَلِّقًا
بِالْبَدْوِ وَبِالْبَدَاوَةِ، وَلِلتَّقْرِيقِ بَيْنَ الْأَعْرَابِ وَالْعَرَبِ؛ فَالْأَعْرَابُ لَفْظٌ
مُخْتَصٌّ بِأَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَأَمَّا الْعَرَبُ؛ فَمَنْ سَكَنَ بِالْمَدِينَةِ وَقَرِبِهَا،
وَلِهَذَا إِذَا قِيلَ لِلْأَعْرَابِيِّ: يَا عَرَبِيَّ، فَرَحَ، وَإِذَا قِيلَ لِلْعَرَبِيِّ: يَا
أَعْرَابِيَّ، غَضِبَ⁽³⁾، وَمِمَّا يُوَكِّدُ ذَلِكَ، مَا قَالَهُ أَبُو السُّعُودِ: "الْأَعْرَابُ:

ذكر كفر الأعراب
وشدَّتْهُمْ،
لجهلهم بأحكام
الشَّرْع، وآداب
المعاملة

بيان طبيعة
الأعراب في
المدينة وغيرها

تنبيه المسلمين
لأحوال الأعراب،
لمعرفة كيفية
التعامل معهم

الأعراب لفظٌ
مختصٌّ بأهل
البادية، وهم
أشداء في البأس
والتعامل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/10 - 11، ووطنواوي، التفسير الوسيط: 6/386، وعبد الفتاح

لاشين، لغة المنافقين في القرآن الكريم، ص: 191.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/11.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/316.

هي صيغة جمع، وليست بجمع للعرب، قاله سيبويه؛ لأنه لا يلزم كون الجمع أخص من الواحد، فإنَّ العرب: هو هذا الجيل الخاص سواءً سكن البوادي أو القرى، وأمَّا الأعراب؛ فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي⁽¹⁾.

دلالة (ال) على الجنس، في لفظ «الأعراب»:

اللام في «الأعراب» للجنس، أي: جنسهم لا كل واحد منهم، فالأعراب لفظة عامة، ومعناها الخصوص، وهم جمع معين من منافقي الأعراب، كانوا يوالون منافقي المدينة، فانصرف هذا اللفظ إليهم، وهذا معلوم بالوجود، وكيف كان الأمر، وهو من باب وصف الجنس بأحد أفراده أو بعضهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ [الإسراء: 67]؛ إذ ليس كلهم⁽²⁾.

دلالة التعبير بقوله: «أشدُّ كفرًا ونفاقًا»:

عبر بوصفهم بشدة الكفر والنفاق دون الاكتفاء بوصف الكفر والنفاق؛ لبيان أنهم بلغوا الغاية القصوى في الكفر، وفي النفاق، فكفرهم يلتقي فيه الجحود والنكران والجهل الشديد والغلظة الكافية مع عدم الإيمان بالله ورسوله، وفي نفاقهم بلغوا فيه الغاية لعدم الإيمان الحقيقي، وتظاهروا بالإسلام والاستسلام⁽³⁾. ومما يذكر في علّة وصفهم بالأشدّ في الكفر: أنّ الكفر متعلّق القلب فقط، فإذا دخلت فيه أعمال الجوارح؛ تحققت فيه الشدة⁽⁴⁾ وقد حكم عليهم القرآن بشدة الكفر والنفاق؛ لأنهم ما كانوا تحت سياسة سائس ولا تأديب مؤدّب ولا ضبط ضابط، فنشئوا كما

الحكم على
الجنس حكم
على المجموع لا
على الجميع

الوصف
بالشدة، آية
على بلوغ الغاية
في الكفر والنفاق

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/95.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/73، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/125، والقنوجي، فتح البيان:

5/377.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3422.

(4) أبو حيان، البحر المحیط: 5/491.

شاؤوا، بخلاف من شاهدَ مواعدَ رسولِ الله ﷺ وبياناته الشَّافية وتأديباته الكاملة، فكيف يكونُ مساوياً لمن لم يشاهد هذا الخير⁽¹⁾.

سرُّ التعبيرِ بلفظ «أَشَدُّ كُفْرًا»:

آثر التعبير بلفظ «أَشَدُّ» في قوله: «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا» دون أكثر؛ لأنَّه هو المناسبُ لحالة الأعراب؛ فمادَّةُ الشَّدِّ تدور حول القوَّة، يقال: شَدَّدْتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُ عَقْدَهُ، قال تعالى: «وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ» [الإنسان: 28]، والشَّدَّة تستعملُ في العقدِ وفي البدنِ وفي قوى النَّفسِ وفي العذابِ، قال تعالى: «وَكَاُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» [فاطر: 44]؛ بخلاف الكثرة، فلا تحملُ معنى الشَّدَّة، فالأَشَدُّ يقابله الأضعفُ، والأكثرُ يقابله الأقلُّ، والمراد هنا الحديثُ عن الشَّدَّة البدنيَّة والمعنويَّة في طبيعة الأعراب؛ لقسوة طباعهم وغلظة قلوبهم، فكانَ التعبيرُ بالأشدَّ هو الأوفقُ للسياق⁽²⁾.

الكثرة لا تحملُ
معنى الشَّدَّة،
ولهذا آثرها
السياق القرآني

دلالة حذفِ المفضَّلِ عليه، في صيغتي: «أَشَدُّ» و«وَأَجْدَرُ»:

حُذِفَ المفضَّلُ عليه على رأي من جعلَ أَفْعَلَ التَّنْضِيلَ على بابهِ «أَشَدُّ» و«وَأَجْدَرُ» فيكون المفضَّلُ عليه أهلُ الحضرِ، أي: كُفَّارٌ ومنافقي المدينة، وهذا هو الَّذي تواطأ عليه جميعُ المفسِّرين⁽³⁾، وعلى رأي من يرى أنَّ أَفْعَلَ التَّنْضِيلَ على غيرِ بابهِ، فالمعنى في «أَشَدُّ» و«وَأَجْدَرُ» مستعملٌ لقوَّةِ الوصفينِ في الموصوفينِ بهما، "فالمعنى: أنَّ كُفْرَهُمْ شديدٌ التَّمَكُّن من نفوسِهِم، ونفاقُهُم كذلك؛ من غيرِ إرادةٍ أَنَّهُمْ أَشَدُّ كُفْرًا ونفاقًا من كُفَّارِ أهلِ المدينة ومنافقيها"⁽⁴⁾؛ لأنَّ الشَّانَ في البدو أن يكونوا أَشَدَّ كُفْرًا ونفاقًا.

حذفُ المفضولِ
عليه، دالٌّ على
التَّمَكُّن من
نفوسِهِم

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/125.

(2) الزَّاغِب، للفردات: (شَدَّ).

(3) ابن عاشور، التحرير والتَّنوير: 11/11.

(4) ابن عاشور، التحرير والتَّنوير: 11/11، وأبو زهرة، زهرة التفسير: 7/3422.

دلالة التَّمْيِيزِ في قوله: ﴿كُفْرًا﴾ و﴿وَنِفَاقًا﴾:

إزالة الإبهام في
وصف (أشد)،
للإبانة عن المراء

قوله: ﴿كُفْرًا﴾ و﴿وَنِفَاقًا﴾ منصوبان على التَّمْيِيزِ، لبيان الإبهام الذي في وصف ﴿أشد﴾؛ لذلك سلك مسلك الإجمال، ثم التفصيل ليتمكّن المعنى أكمل تمكّن⁽¹⁾.

دلالة الجمع بين الكفر والنفاق، في قوله: ﴿كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾:

خبث طبيعة
بعض الأعراب،
لتمكّن الكفر
والنفاق فيها

جمع بين الكفر والنفاق لبيان واقع الأعراب؛ لأنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ منهم من كفر، وارتد عن الإسلام، ومنهم من نافق لما قويت شوكة المسلمين بعد قتال أبي بكر رضي الله عنه لهم، فأخذوا يخفون كفرهم، ويظهرون إسلامهم.

سرّ تقديم (الكفر) على (النفاق)، في السياق:

الكفر أصل كل
سوء، ومعقد
كل مفسدة

في قوله: ﴿كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ قدّم الكفر؛ لأنه الأصل في الجحود والنكران لله ولرسوله، أمّا النفاق؛ فيأتي كمرحلة ثانية عند ما يصعب على الكافرين المجاهرة بكفرهم، فيلجؤون إلى النفاق لمداواة ما يريدون.

نكتة تنكير ﴿كُفْرًا﴾ و﴿وَنِفَاقًا﴾:

شيوع الكفر
والنفاق في
الأعراب، أكثر
من غيرهم

التنكير في ﴿كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ يدلّ على شيوع الكفر والنفاق فيهم وتمكّنهما منهم، كأنهما صارا طبيعة لهم، ولذلك يوصف كفرهم ونفاقهم بأنه غليظ كثيف، لا ترى عليهم وضاعة من حق ولا نور من هدى، وذلك لبعدهم عن مواقع الهدى والنور من رسول الله ﷺ والمؤمنين معه، يؤكّد ذلك ما ذكره الماوردي في علّة التنكير بقوله: "له وجهان: أحدها: أن يكون الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم لقلة تلاوتهم القرآن وسماعهم السنن، والآخر: أن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم؛ لأنهم أجفّ طباعاً وأغلظ قلوباً"⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/11.

(2) الماوردي، التكت والعيون: 2/393.

دلالة العطف في جملة ﴿وَأَجْدَرُ﴾:

دلَّت الواوُ على عطفِ قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، على ما قبلها لتعديد صفاتهم الذميمة التي سبق بعضها، ومنها عدم معرفتهم حدود ما أنزل الله تعالى على رسوله.

سرُّ التعبير بلفظ ﴿وَأَجْدَرُ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، وفيه أثر التعبير بـ ﴿وَأَجْدَرُ﴾ دون (أحرى) لوجود فرق بينهما، فالحرِيُّ هو الذي رجا أمراً، وطلبه، يقال له: تحرَّاهُ، كأنَّه طلب مستقره ومأواه، وأمَّا قولهم: جديرٌ به، معناه: أن ذلك يرتفع من جهته، ويظهر من قولهم: جُدِرَ الجدارُ؛ إذا بُني، وارتفع، والجدير: المنتهى، لانتهاؤ الأمر إليه انتهاء الشيء إلى الجدار؛ لأنَّ اشتقاقه من الجدر، وهو أصل الشجرة، فكأنَّه ثابتٌ كثبوت الجدر، إذا مَادَّةُ (جدر) تدلُّ على ثبوت الشيء وارتفاعه⁽¹⁾.

وبناءً على هذا، أثر القرآن الكريم التعبير بقوله: ﴿وَأَجْدَرُ﴾ لمناسبتِه لسياق الحديث عن الأعراب في شدَّة كفرهم ونفاقهم وعدم علمهم لحدود ما أنزل الله على رسوله، فهذه الصفات السَّابِقُ ذكَّرها، ولا سيَّما عدم علمهم بحدود الله، ليس أمراً طارئاً، بل هو متجدِّدٌ فيهم، ثابتٌ ثبوت الجدارِ ناشئٌ من ظروف حياتهم، وما في طباعهم من جفوة، وبُعدٍ عن المعرفة⁽²⁾.

والجدارُ بالشيء قد تكونُ طبيعيَّةً وقد تكونُ بأسبابٍ كسببيَّةٍ من فنيَّةٍ وشرعيَّةٍ وأدبيَّةٍ، وقد تكونُ بأسبابٍ سَلبيَّةٍ اقتضتها حالة المعيشة والبيئة، وهذا النوع الأخير هو المناسب لحالة الأعراب.

طبائع البشر
انعكاس
لبيناتهم،
وتعبير عن
نفسياتهم

الجدارة بعدم
العلم والفهم،
مناسبة
للأعراب، الذين
اكتسبوها من
البيئة الخسنة

(1) الزاغب، المفردات: (جدر).

(2) عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن الكريم، ص: 191.

نكتة حذف الباء من المصدر المؤول ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا﴾:

الأعراب
للمناقون،
يوصفون بعدم
العلم بما أنزل
الله على رسوله

"حُذِفَتِ الْبَاءُ الَّتِي يَتَعَدَّى بِهَا فِعْلُ الْجَدَارَةِ عَلَى طَرِيقَةِ حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ مَعَ (أَنْ) الْمَصْدَرِيَّةَ"⁽¹⁾ وَرَبَّمَا يَدُلُّ حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ، عَلَى أَنَّهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْعِلْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ لَانْعِدَامِ الْوَاسِطَةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا حَذْفُ حَرْفِ التَّعْدِيَةِ، فَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْوَصُولِ إِلَى عَدَمِ، فَكَيْفَ يَصِلُونَ إِلَى الْعِلْمِ؟

سر اختيار العلم، في قوله: ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا﴾، دون المعرفة:

نفى القدرة
على العلم
تحقير لهؤلاء
الموصوفين في
السياق

آثَرَ التَّعْبِيرَ بِالْعِلْمِ دُونَ الْمَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ أَدْقُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ الدَّلِيلِ نَظَرِيًّا كَانَ أَوْ عَقْلِيًّا بِخِلَافِ الْمَعْرِفَةِ، فَلَا تَحْتَاجُ لِذَلِكَ، فَالْمَعْرِفَةُ أَعْمُ مِنَ الْعِلْمِ؛ لِذَلِكَ نَفَى عَنْهُمْ الْعِلْمَ دُونَ الْمَعْرِفَةِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: كَيْفَ يُحْتَجُّ بِالْفَاضِلِ الْأَعْرَابِ وَأَشْعَارِهِمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ وَصْفِهِم بِالْجَهْلِ؟ فَكَانَ التَّعْبِيرُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ هُوَ خَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْجَهْلُ بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ، وَإِلَّا فَهُمْ كَانُوا مُضْرِبِ الْأَمْثَالِ فِي قُوَّةِ الْجَنَانِ لَوَذَعِيَّةِ الْأَذْهَانِ وَذَرَابَةِ اللِّسَانِ، وَسَعَةِ بِيْدَاءِ الْبَيَانِ، وَعَنْهُمْ أَخَذَ رَوَاةُ الْعَرَبِيَّةِ أَكْثَرَ الْمَفْرَدَاتِ⁽²⁾.

سر اختيار لفظ ﴿حُدُودَ﴾:

الحدود
والضوابط أدق
العلوم، وأكثرها
نجاعة وضبطا

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، اخْتَارَ التَّعْبِيرَ بِالْحُدُودِ عَنِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ؛ لِأَنَّ تَجَاوُزَهَا يَخْرُجُ صَاحِبُهَا مِنَ الْحَلِّ إِلَى الْمَنْعِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَحَدٌّ حُدُودًا، فَلَا تَعْتَدُوها»⁽³⁾؛ لِأَنَّ أَصْلَ الْحَدِّ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ، وَمِنْهُ الْحَدِيدُ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَمَى بِهِ مِنَ الْأَعَادِي، وَمِنْهُ حَدُّ الدَّارِ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْآخَرِينَ مِنْ دُخُولِهَا⁽⁴⁾؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/12.

(2) محمد رضا، تفسير النار: 11/8.

(3) الطبراني، المعجم الكبير، الحديث رقم: (589).

(4) الرَّاغِب، المفردات: (حدّ).

ولذلك أطلقت الحدود على الشرائع؛ لأنها تمنع من تجاوزها والتعدي عليها، والمراد هنا أحكام الشريعة والفرائض، وأحكام الجرائم وعقوباتها، والمحرمات من النساء والمواريث، وغير ذلك من أحكام الشريعة التفصيلية، فالأعراب لبعدهم عن المدينة في الجلوس في مجالس العلم كانوا جديرين بالبعد عن العلم بحدود الله⁽¹⁾.

ومما يذكر في سر اختيار التعبير بالحدود أن الأعراب في البادية يعرفون مصطلح الحدود الفاصلة بين منطقة الرعي لكل قبيلة، فلا ينبغي لأحد أن يتعدى على الآخر، فعبر به لمعرفة معناه ولأنه نطقهم لمبناه.

سر التعبير بـ ﴿مَا﴾:

عبر في قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ بـ ﴿مَا﴾ التي تفيد العموم لكل ما أنزله الله من الوحي المتلو وغير المتلو ليشمل كل أفراد الشريعة في فرائضها ونوافلها.

الجهل بالعام،
دليل على انتفاء
العلم بالخاص

سر التعبير بالإنزال في قوله: ﴿أَنْزَلَ﴾:

عبر بالإنزال الذي يدل على جهة العلو ليشير إلى تعظيم الحدود، وأنها ليست من مكونات المجتمع وطبائعه؛ لأن من طبيعة الأعراب وجود حدود بينهم في المراعي وفي السكن، فأراد القرآن أن يفرق بين ما كان من طبيعة الأعراب، وبين ما هو من شرع الله، وذلك بوصفه بالإنزال.

الإعلام بعلو
الوحي، تذكير
بأنه من الله

سر التعبير بلفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾:

عبر بلفظ الجلالة دون لفظ الربوبية لتربية المهابة في قلوب الأعراب خصوصاً، وفي غيرهم عموماً؛ لأن طبيعة البداوة، أوجدت فيهم جرأة على التعدي على حدود الله لجهلهم وقساوة قلوبهم.

المهابة تعلي من
شأن المطلوب
علمه

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3422.

شرف المنزل
علو، وتعظيم
لمنزله ومقامه

سر التعبير بـ ﴿عَلَى﴾ دون (إلى):

قوله: ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾، عبّر فيه بالحرف ﴿عَلَى﴾ التي تفيد الاستعلاء، دون (إلى) التي تفيد انتهاء الغاية؛ لأنّ المقام هنا مقام تعظيم وتشريف للرّسول ﷺ أمام هؤلاء الأعراب الذين يظنون أنّه بشرٌ مثلهم، فكيف تكون له السُّلطة عليهم، فكان التعبير بـ ﴿عَلَى﴾ الذي يدلُّ على علو مكانته ﷺ.

سر التعبير برسوله دون نبيه، في قوله: ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾:

آثر التعبير بالرسالة في قوله: ﴿رَسُولِهِ﴾ دون النبوة؛ لأنّ المقام هنا مقام تشريعات وتكليفات، عبّر عنها بقوله: ﴿حُدُودَ﴾، وهذا هو المناسب لهذا السياق، وفيه إشارة إلى أنّ إقامة الحدود تبنى على التمهّل من قولك: على رسلك، أي: تمهّل في تطبيق الحدود، فلا تقام على الشكوك إنّما تقام على اليقين.

سر تذييل الآية، بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

جاءت الفاصلة باسمي (العليم والحكيم)، لتعلّق الأمر بالنفاق القلبي، وخبايا النفوس، وبيان أنّ وجود مثل هذه الأصناف في المجتمعات، إنّما هو لحكمة يريدّها الله تعالى في تمحيص صفّ المؤمنين، فالفاصلة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ تذييل لهذا الإفصاح عن دخيلة الأعراب وخلقهم وقسوة قلوبهم، وبُعدهم عن العلم والعلماء، فهو سبحانه عليمٌ بهم وبغيرهم، حكيمٌ في تمييز مراتبهم بمقتضى الحكمة⁽¹⁾، وفي هذا الختام دعوة لهؤلاء الأعراب أن ينزعوا عن أنفسهم حياة البدوة، وأن يخرجوا إلى حياة الحضر، ويقتربوا من مواطن العلم والمعرفة، ويخالطوا العلماء، فيأخذوا عنهم؛ لأنّ الله سبحانه عليمٌ حكيمٌ، ولا يُعرف الطّريقُ إلى الله إلّا عن طريق أهل

الإفصاح عن
دخيلة الأعراب
وأخلاقهم

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 6/387، والقنوجي، فتح البيان: 5/378، وعبد الفتاح لاشين، لغة النافقين في القرآن الكريم، ص: 192.

العلم والحكمة، وفي ختام الآية بهذين الوصفين دعوة إلى العمران وترك العزلة والوحشة ما استطاعوا لذلك سبيلاً⁽¹⁾.

نكتة التقديم لـ ﴿عَلِيمٌ﴾، على لفظ ﴿حَكِيمٌ﴾:

قدّم العليم على الحكيم من باب إتباع الصفة بما هو أخصّ منها، فمفهوم الحكمة يزيد على مفهوم العلم؛ إذ الحكمة ناشئة عن العلم وأثر له، فالحكمة كمال في العلم⁽²⁾. ومما يذكر في علّة التقديم الإشارة إلى أنه يعلم حال كل أحد بالتعلّق القديم قبل الوقوع، أي: يعلم أنه سيوجد على حالة كذا وكذا، وبالتعلّق الحادث عند الوقوع، وهذا العلم يترتب عليه الجزاء خيراً أو شراً، وفي هذا جواب على سؤال يرد في خاطر: كيف حكم على الأعراب بأنهم أشدّ كفرًا ونفاقًا فكان الجواب: بأنه عليم يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر بما يفعلون⁽³⁾، وفيه تحذير لأهل البدو خصوصاً ولغيرهم عموماً بأن الله تعالى يعامل الناس بما يعلم من نيّاتهم، وأنه حكيم لا يأمر إلا بما فيه تحقيق الحكمة.

سرّ التعبير بالجملة الاسمية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

هذا التذييل - كما هو ظاهر - جاء في جملة اسمية: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ وذلك لإفادة الثبوت واللزوم، فهاتان الصفتان (العلم والحكمة) من الصفات الثابتة لله تعالى التي لا تنفك عن ذاته ﷻ فهو لم يزل ولا يزال عليمًا حكيمًا، فهو ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوال مخلوقاته على العموم وهؤلاء منهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يجازيهم به من خيرٍ وشرّ.

تقديم الأخصّ
بالسياق، على
أثره ونتاجه

صفات الله
ثابتة، لا تنفك
عن كمال ذاته
تعالى

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 6/876.

(2) السمين الحلبي، الدّر للصون: 1/267.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/317.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف

مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 18، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-15-9

يشتمل على ارجاعات ببلوغرافية.

مج. 18: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-15-9

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»